ماذا لو أننى

شجرة ؟

3



بقلم : عبد التواب يوسف

رسوم : سها سليمان

الدار المصرية اللبنانية

الناشر : **الدار المصرية اللبنانية**
١٦ ش عبد الخالق ثروت ـ القاهرة
تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ ـ ٣٩٣٦٧٤٣
فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ ـ برقياً : دار شادو
ص . ب : ٢٠٢٢ ـ القاهرة
رقم الإيداع: ٤٦٨٥ / ٩٦
الترقيم الدولى: 7 - 265 - 270 - 977
تجهيزات فنية : **ار ـ تك**
العنوان: ٤ ش بنى كعب ـ متفرع من السودان
تليفون: ٣١٤٣٦٣٢
فصل ألوان وجرافيك: **عربية للطباعة والنشر**
العنوان: ٧ - ١٠ شارع السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفون: ٣٠٣١٠٤٣ - ٣٠٣٦٠٩٨
طبع : **آمون**
العنوان: ٤ فيروز - متفرع من إسماعيل أباظة
تليفون: ٣٥٤٤٣٥٦ - ٣٥٤٤٥١٧

الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ ـ يونيو ١٩٩٦م
الطبعة الثانيــة: محرم ١٤١٨ هـ ـ مايو ١٩٩٧م

سلسلة ماذا لو أننى 3

ماذا لو أننى شجرة ؟

بقلم : عبد التواب يوسف
رسوم : سها سليمان



الدار المصرية اللبنانية

الطفل: ماما، لنفرض أنى أصبحتُ (شجرةً).. هل ستُحبيننى؟

الأم : سوف أُحبكَ فى أى صورة تكونُ عليها.

الطفل: حتى حين أصبح شجرة؟

الأم : أنا أحبك أن تكون مثل الشجرة.

الطفل: أتقصدين أن أكون جماداً.

الأم : أمعقول أن تفهم كلامى بهذا المعنى؟

الطفل: فكيف إذن أفهمه؟

الأم : حين أقول لكَ أريد أن تصبح أسدًا، فماذا أقصد؟

الطفل: أن أكون شجاعًا.

الأم : بالضبط، لست أريدك أن تصير مثل الأسد بأربع أرجل وتزأر مثله.

الطفل: حسناً، لكن كيف تريديننى أن أصبح مثل الشجرة.

الأم : أريدك أخضر.. بلون الحياة.. أتعرف أن الحياة لا يمكن أبدًا أن تستغنى عن اللون الأخضر؟

الطفل: لا لست أعرف.. لماذا؟ لماذا اللون الأخضر؟

الأم : هو لونُ مادة فى ورق الشجر اسمها «الكلوروفيل» تأخذ من الجو «النتروجين، وثانى أكسيد الكربون» وتعطينا «الأكسجين» الذى نتنفسه.



الطفل: الله ! ! حلوة هذه المعلومة.

الأم : وبدون الخضراوات التى يأكلها الإنسان والحيوان لا تكون هناك حياة على هذه الدنيا.. أعرفت لماذا أريدك أخضر؟

الطفل: لكنكم دائماً تقولون لنا إن الفاكهة لاتزال خضراء، وتأتى بالمرض إن أُكِلَتْ هكذا..

الأم : الفاكهة الخضراء معناها أنها لا تزال ـ بعد ـ غير ناضجة. وتحتاج إلى وقت كى تنضج، وأنت أيضًا مثلها تحتاج إلى وقت كى تكبر.

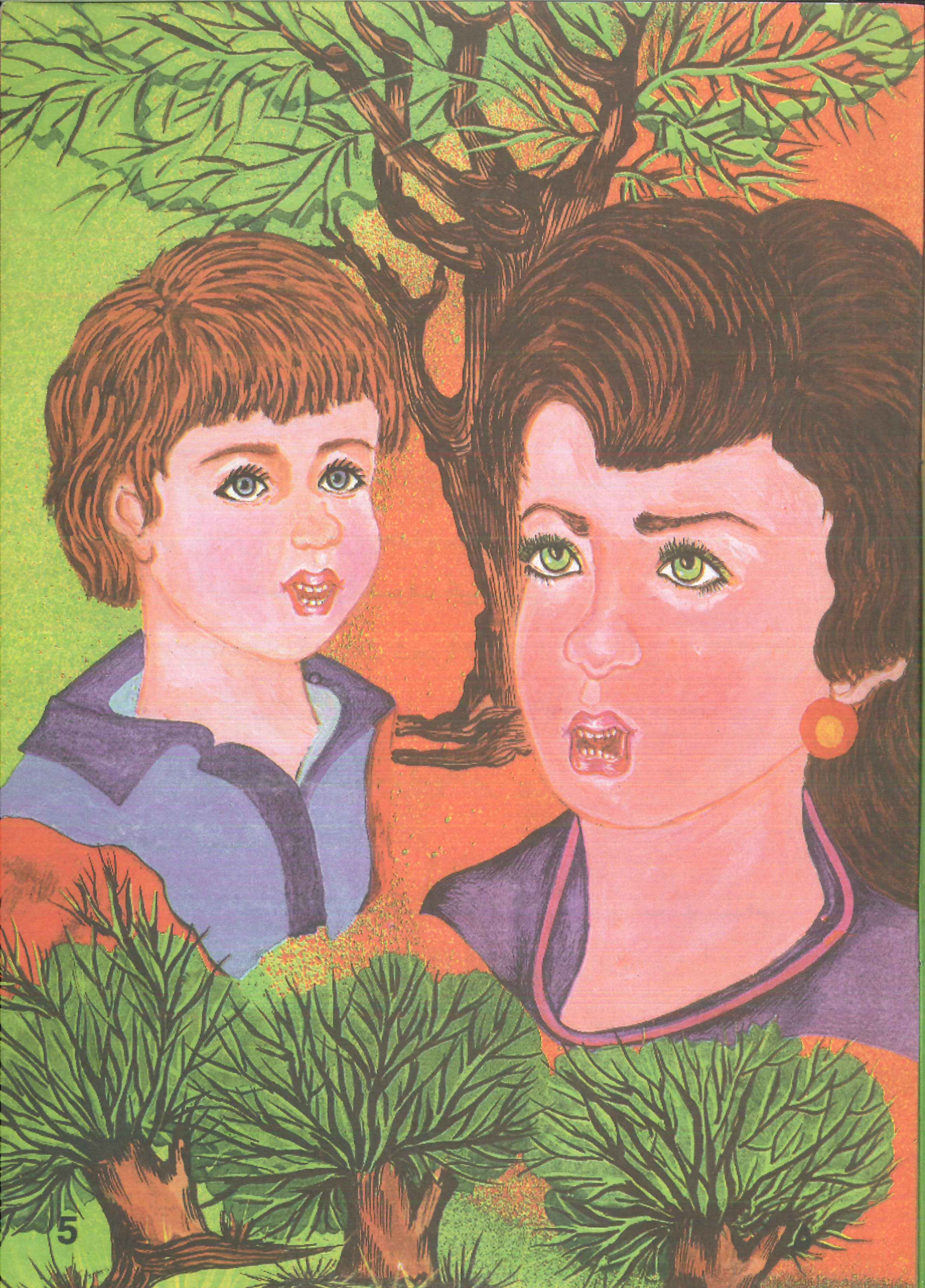
الطفل: وأصبح فى حجم الشجرة؟

الأم : على كل حال، كلما كبر حجم الشجرة كبر ظلها، ونحن فى الصيف نحتاج إلى الظل، ونحتاج لأن نتقى حرارة الشمس الشديدة.

الطفل: أتعنين أنه أمر جميل أن أصبح شجرة، وأظلل على الناس؟

الأم : جميل جدا، وأضف إلى ذلك أنك تمنحهم «الأكسجين».

الطفل: والشجرة جميلة المنظر.. أنا أشعر بجمالها وروعتها.. انظرى إلى شارع على جانبيه الشجر، وآخر عُريان خالٍ من الشجر.



الأم : جميلة كلمة «عُريان» هذه.. فعلاً، شارع بلا شجر هو شارع «عريان».

الطفل: وبالطبع هذا عيب، لابد أن يرتدى الشارع مايستر به نفسه.

الأم : بالضبط، ولو بضع شُجَيرات صغيرة.

الطفل: مثلى؟

الأم : آه، ذكَّرتَنِى، إذ نسيتُ أنك شجرة.

الطفل: أرجو أن تتذكرى هذا باستمرار.. ثم أنكِ قلتِ: «إننى لو أصبحت شجرة فسوف تحبينني».

الأم : طبعًا، خاصة لو أنك شجرةٌ مملوءة بالزهور.

الطفل: مؤكد سوف أكون أجمل.. أجمل بكثير حين أمتلئ بالزهور.

الأم : والأجمل لو أنكَ شجرة بها ثمر.

الطفل: كيف؟

الأم : أنت تعرف أن هناك أشجارَ برتقال، وأشجار تفاح، وأشجار تين، وعنب، ومانجو، وخوخ، وبرّقوق، وجوافة.

الطفل: هذا هو الأفضل والأجمل.. أن أعطى الفاكهة.

الأم : الفاكهة شىء مُغَذٍّ ولذيذ جدا، ومن المهم جدا أن تكون مثل الشجرة تعطى بِكَرم.



الطفل: أعطى هكذا بدون مقابل؟

الأم : أتريد ثمن الفاكهة؟ أتريد فى مقابلها نقودًا؟

الطفل: وماذا أفعل بالنقود إذا أصبحت شجرة.

الأم : ماذا تريد فى المقابل؟

الطفل: أهم شىء هو ألاَّ .. ألاَّ يقطعوننى.

الأم : بَعُدَ الشَّرُّ عنكَ وعليك.

الطفل: وأَلاَّ يكسروا أغصانى أو فروعى أو أطرافى.

الأم : طبعًا هذا غير ممكن. كيف تفكر بهذا الشكل؟

الطفل: لأنى أرى مايحدث أحياناً للشجر.. وأَخْشَى أن يحدث لى.. ألستُ شجرة؟

الأم : نعم، نعم.. أُدرك ذلك.

الطفل: ثم يا أمى إنْ أصبحتُ أنا شجرة، فهل ستنسين أن ترويني؟

الأم : ياخبر ياحبيبى! معقول ماتقول؟ فمتى نسيت أنا أن أسقيك؟ متى شعرت أنك ظمآن؟ قبل أن تنطق كنت أحضر لك الماء إلى سريرك، وأساعدك على الجلوس بيدٍ، وبالأخرى أعطيك الماء.



الطفل: لست أذكر هذا.

الأم :لأنك كنت صغيراً جدا، ووقتها لم أكن أسقيك ماءً فقط.

الطفل: فماذا كنت تسقينني غير الماء؟

الأم : كنت أرضعك من لبنى.. أسقيك إياه.

الطفل: لكن الشجرة لا ترضع لبناً؟

الأم : أعرف.. سوف أعطيك ماتريد.

الطفل: هل يحدث للشجرة أن تمرض؟ ترقد فى الفراش؟

الأم : نعم الشجرة تمرض، مثل كل الأحياء.. وأما أن ترقد فى الفراش فهذا لا يحدث.

الطفل: تمرض؟ كيف؟ وهل ستأتين لى بطبيب أشجار ياماما؟

الأم : أنت تسأل أسئلة كثيرة جدا، السؤال تلو الآخر.. تَمَهَّلْ.

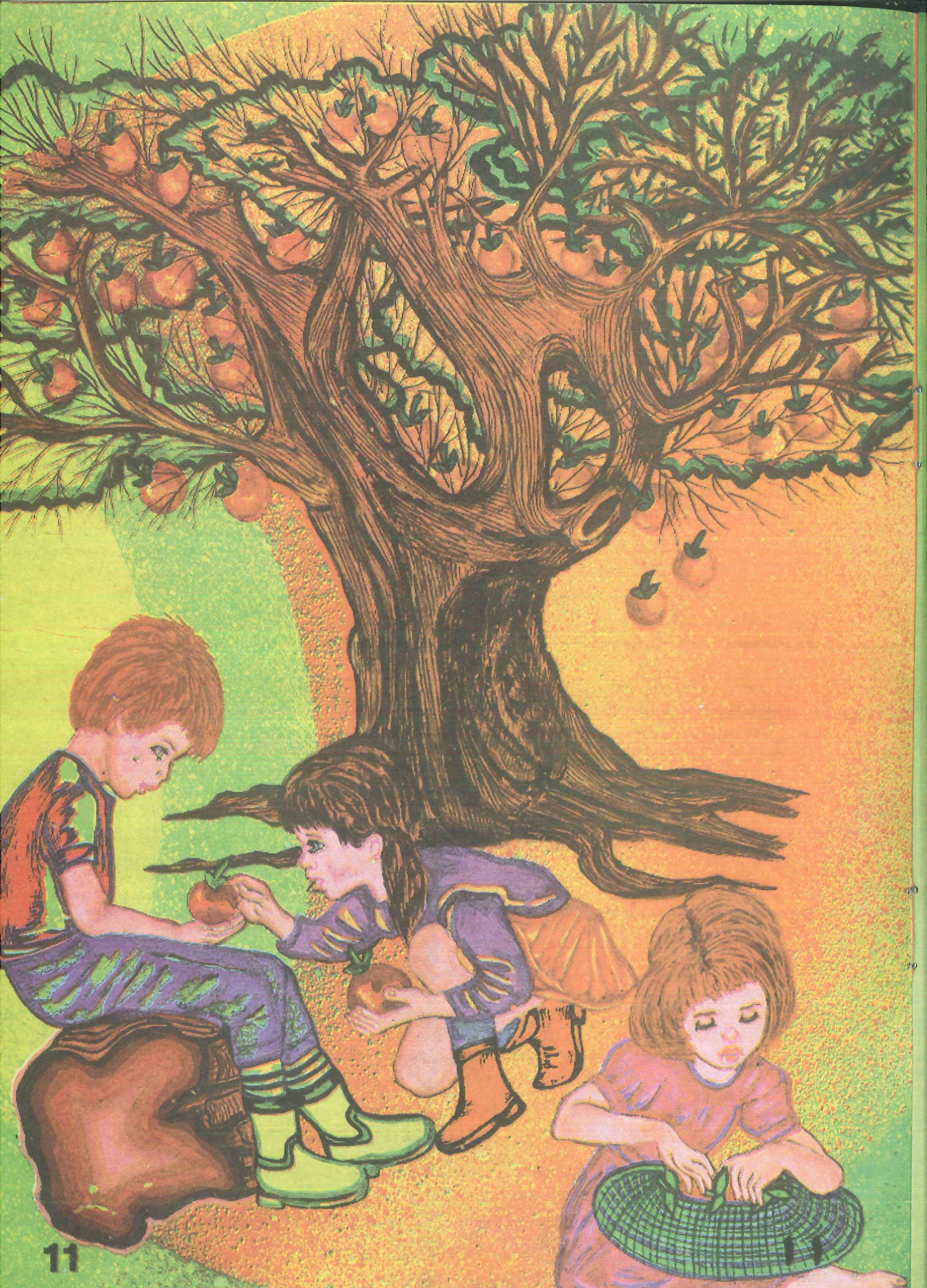
الطفل: لقد صار الموضوع مثيراً جدا.. قولى لى: كيف تمرض الأشجار؟

الأم : حين لا تتغذى بما يكفى.. ومن الممكن أن تحدث لها ضربة شمس، خصوصًا حين تظمأ.. وهناك آفات وديدان وحشرات مثل الجراد تعتدى عليها.. وهكذا.

الطفل: وهل هناك طبيب يعالج الشجر؟

الأم : طبعًا، خريجو كلية الزراعة يدرسون النباتات والأشجار جيدًا، ويعرفون الآفات والأمراض ويعالجونها.

الطفل: إنى أتصور هذا الطبيب وهو يضع «السماعة» على جذع



الشجرة ويمسك بفرع فيها يقيس النبض.

الأم : هذه صورة خيالية ظريفة.. هناك أمراض فى الشجر نفسه، بعضها بالوراثة، حين تكون البذور غير جيدة مثلاً .. أو المياه غير كافية.. أو إذا التربة أُنهكت، فنساعدها بالأسمدة، وأشياء من هذا القبيل.

الطفل: الحقيقة ياماما أن الشجر يعطينا بكرم أشياء كثيرة.

الأم : هذا صحيح، من بينها مثلاً أنه أحياناً يعطينا نفسه، أى: أخشاباً.. هل يمكن أن تتصور عالمنا هذا بدون خشب؟

الطفل: لا أستطيع تصور ذلك.. فالشجر يعطينا السرير الذى ننام عليه، والمكتب، والكرسى، وأيضاً يعطينا أبواب البيت، والنوافذ والسقف، ويعطينا أشياء أخرى كثيرة، بلا حصر، من بينها شِرَاع السفينة وسارية العَلَم.

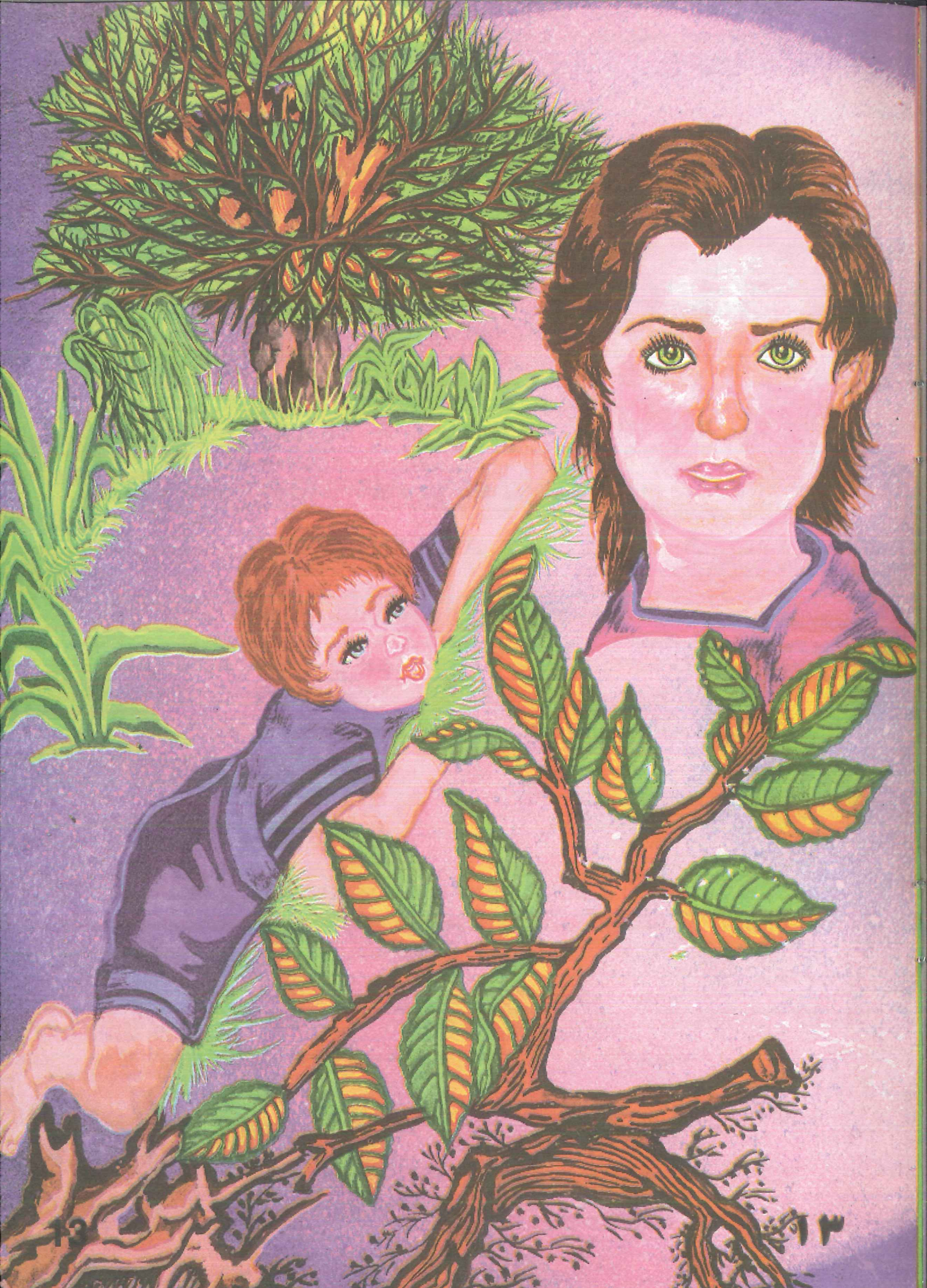
الأم : بالضبط .. لهذا السبب فإن الشجرة مهمة فى حياة الناس.

الطفل: هذا هو السبب فيما خطر فى بالى أن أسألك: لنفرض أننى أصبحت شجرة.

الأم : أُمنية حلوة أن تصبح شجرة فى عطائها للظل والخشب والأزهار والثمر.

الطفل: لكنى لو أصبحت شجرة فسوف يتسلقنى الأولاد.

الأم : هذا بالطبع ممكن، بل من الممكن أن يقيموا أرجوحة على أغصانك.



الطفل: هذا رائع !! مرحبًا بهم يلعبون فى ظلى، ويقيمون على فروعى أرجوحة، ويتسامرون تحت أغصانى ماداموا لا يؤذوننى.

الأم : لقد ذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى أحاديثه الشريفة أن قاطع الأشجار ملعون، فقال: «لعَنَ اللّهُ قاطعَ السِّدْرِ» والسِّدْر هذا هو شجر النبق.

الطفل: وهل كانوا يعرفونه فى الجزيرة العربية فى تلك الأيام الماضية؟

الأم : نعم.. وكانوا فى الحرب لايقطعون شجرة أبداً.

الطفل: ماما.. هل إذا أصبحت شجرة أصبح أشهر شجرة فى التاريخ؟

الأم : فكر أنت أولا، وحاول أن تجيب.

الطفل: الشجرة التى أكل منها آدم وحواء.

الأم : فعلاً، هى شجرة شهيرة، لكنها ليست من أشجار الأرض، بل من أشجار الجنة.

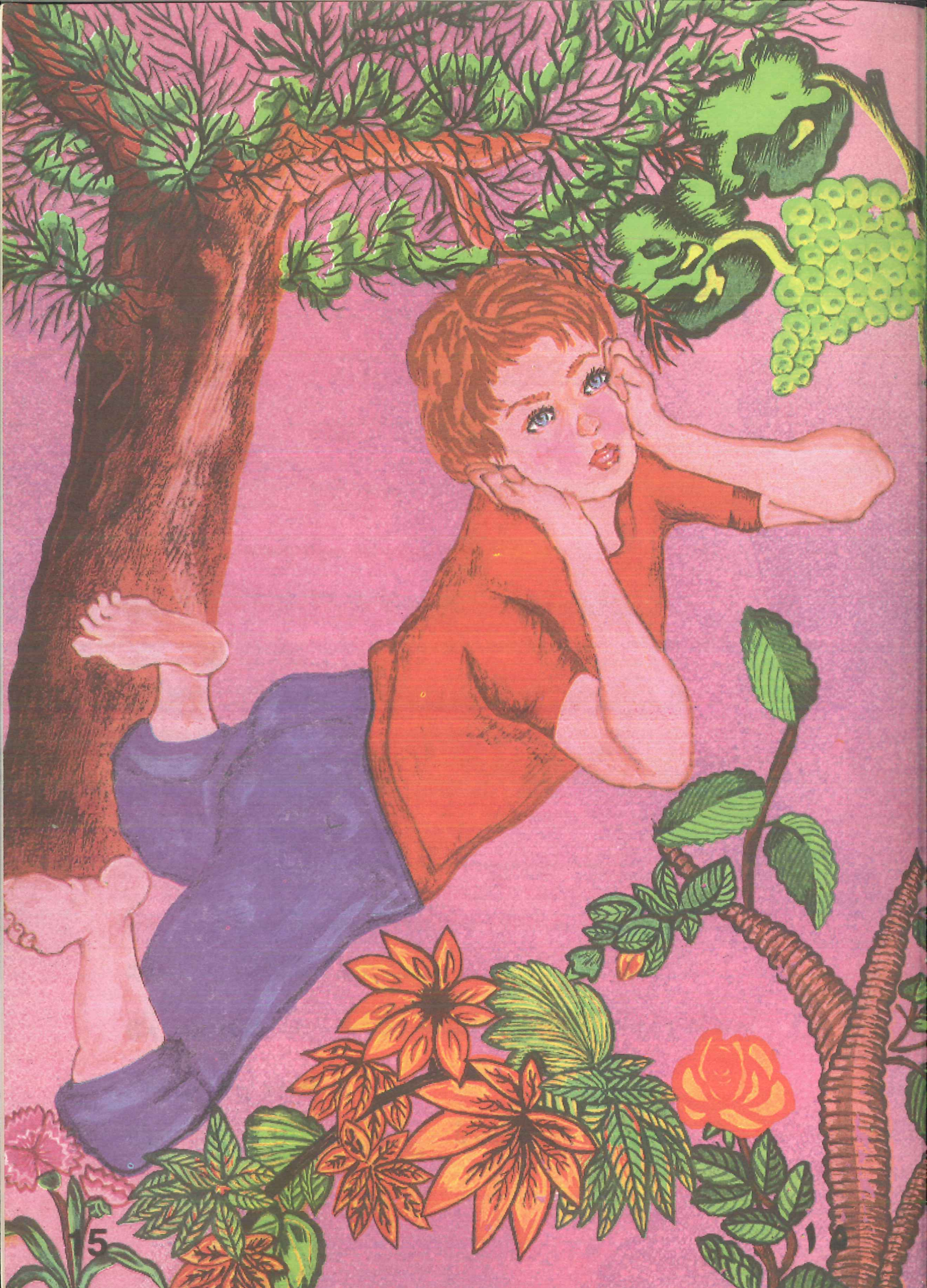
الطفل: هذا صحيح. ماذا عن شجرة الحُدَيْبِيَة؟

الأم : جميل أن تذَكَّرْتَهَا. لقد ورد ذكرها فى القرآن. هل تذكر الآية؟

الطفل: أذكرها جيداً. بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ لَقَدْ رَضِىَ اللّه عَنِ الْمُؤْمِنين إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَة ﴾

صدق الله العظيم



الأم : لن تكون أشهر من شجرة الحُدَيبِية.. فلماذا طرحت هذا السؤال؟

الطفل: أحيانًا يسبق لسانى تفكيرى.

الأم : هذا أمر غير صحىٍّ، لابد أن يمر الكلام بعقلك قبل أن يصل إلى طرف لَسانك .. يا أستاذ شجرة.

الطفل: جميل هذا اللقب، هل سيكون لقبى الجديد؟

الأم : ممكن.

الطفل: لم أسمع طِيلَة عمرى أحداً يُدْعَى شجرة.

الأم : طبعًا أنت لاتريد أن يكون اسمك شجرة، بل تريد أن يكون فيك بعض صفاتها .. بعض عطائها.. بعض ثمارها.

الطفل: بالضبط، لأنى أرى فيها الحُبَّ، والحنَان، والحياة.

الأم : جميل هذا.. يعنى أن الشجرة عندها (ثلاثة حاءات) حُب، حنان، حياة.

الطفل: الله، أنا لم أنتبه إلى ذلك. أنا قلتها عفويا!

الأم : الأمور التى تأتى عفويا كثيراً ماتكون جميلة جدا.

الطفل: إنَّ فكرة أن أكون شجرة جاءتنى عفويا أيضاً.

الأم : كانت فكرة ظريفة، جعلتنا نقضى معًا ومعها وقتاً ممتعاً.

الطفل: عفواً ياماما.

الأم : إلى أين؟ أرسم نفسى.. أرسم نفسى (شجرة).